د. محمد عز الدين الغرياني

المذهب المالكي

النشأة والموطن
وأثره في الاستقرار الاجتماعي

ASSOCIATION MONDIALE DE L'APPEL ISLAMIQUE

المذهب المالكي
النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي

تـأليف: د. محمد عز الدين الغرياني

منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

طريق السواني ـ طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

هاتف: 65 ـ 4808461 ـ بريد مصور: 4800293 ـ ص.ب: 2682 طرابلس

Website: www.islamic-call.net

E-mail: media@islamic-call.net

سـنة الطـبع: 1378 من وفاة الرسول ﷺ ـ (2010) مسيحي

الرقم المحلي: 217 / 2009 دار الكتب الوطنية ـ بنغـازي

الرقم الدولي: ردمـك: ISBN: 978 - 9959 - 28 - 242 - 2

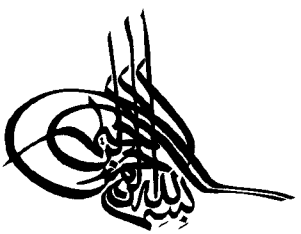

مقـدمـة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد انتشر المذهب المالكي مند بدايات وجوده في بلاد المغرب العربي عامة، وفى بلاد ليبيا خاصة، واستقر ونما في ثناياها، ومعاهدها العلمية المتعددة، وزواياها الفقهية المختلفة، وكان لهذا الانتشار والاستقرار الأثر الكبير في بث الثقافة الإسلامية النيرة، والوعي الديني العميق، ويتساءل اليوم كثير من الناس عن الأسباب التي أدت إلى هذا الانتشار وذاك الاستقرار، وعن الأسباب التي دفعت الناس إلى التشبث بالمذهب المالكي، والتمسك به، بحيث صار جزءاً من كيانهم الفكري،

وبنيانهم الثقافي، وهذا البحث يحاول الإجابة عن هذه التساؤلات، ويبين دور المذهب المالكي في الاستقرار الاجتماعي والإستقلال الوطني، ومساهمته في مقاومة الاستعمار ودحر الإحتلال.

فإن وفقت فمن الله، وما توفيقي إلا به عليه توكلت وإليه أنيب

د. محمد عز الدين الغرياني

تمهيـــد

التعريف بالإمام مالك
«نبـذة مختصـرة»

1 ـ إسمه :

مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني[1].

2 ـ مولده :

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها الإمام مالك، والأصح أنه ولد سنة ثلاث وتسعين هجرية[2].

3 ـ مكان الميلاد والنشأة :

ولد الإمام مالك في المدينة المنورة، التي كانت

---

(1) انظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق سيد حسين العفاني، خيري سعيد، ح7 ص 361، المكتبة التوقفية، تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،ح8 ص6 دار الفكر.

(2) السير ـ مرجع سابق ـ ح7 ص361.

موطن الشرع، ومبعث النور، ومركز العلم، ومقر الخلافة الإسلامية، في بيت عرف باشتغاله بعلم الحديث، وتتبع الآثار، فجده مالك كان من كبار التابعين وعلمائهم، وثقاتهم، روى عن عمر، وعثمان، وطلحة، وعائشة وأبي هريرة. . . وكان ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ المصاحف، وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يستشيره وأعمامه نافع، وأويس، والربيع ـ من الرواة الذين رووا عن أبيهم مالك وعن غيره، ونافع ممن روى عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس. . . . وعنه روى مالك وغيره.

وأخوه النضر من العلماء، وكان مالك يعرف به في أول الأمر، فكان يقال: أخو النضر[1].

4 ـ شيوخه:

درس الإمام مالك على مشائخ كثيرين، كان بعضهم

---

(1) تهذيب التهذيب ـ مرجع سابق ـ ح8 ص 19، 471 الديباج المذهب، ابن فرحون، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ح1 ص 85 ـ 86 دار التراث، مالك حياته وعصره ارآؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، ص22 ـ 23 دار الفكر.

من أبناء الصحابة أو تلامذتهم، وكان البعض الآخر من تابعي التابعين.

ومن أشهر مشائخه: نافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وهشام بن عروة، وسعيد بن المسيب، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وزيد بن أسلم، وجعفر الصادق، وعبد الرحمن القاسم، وابن هرمز، وأيوب السختياني[1].

5 ـ تلاميذه:

أخذ عن الإمام مالك خلائق كثيرة لا تحصى، من أهل المشرق، ومن أهل المغرب، فإنه الإمام الذي شدت إليه أكباد الإبل من القارات الثلاث: آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، ومن أشهر تلاميذه: الإمام الشافعي، ومحمد ابن الحسن الشيباني، وعبد الله بن المبارك، وابن القاسم، وأشهب، ويحي بن يحي، وأسد بن الفرات، وابن وهب، وابن نافع[2]....

(1) الديباج ـ مرجع سابق ـ ح1 ص 137 ـ 139 تهذيب التهذيب ـ مرجع سابق ـ ح8ص6 ـ 7.

(2) انظر الديباج 1 ص139، السير، مرجع سابق، 7 ص363 ـ 365.

6 ـ كتبه :

ترك الإمام مالك آثاراً متعددة، تعبر بوضوح عما يتمتع به الإمام من سعة العلم، وقوة المدرك الاجتهادي.

والآثار التي تركها بعضها كتبه بنفسه مباشرة، وبعضها رواه عنه تلامذته.

ومن أهم مؤلفاته :

أ ـ الموطأ :

يعد الموطأ من أول كتب المدونة في الحديث والفقه الإسلامي، فقد كان الناس قبله يعتمدون على الذاكرة أكثر مما يعتمدون على الكتاب، وإن كان ثمة شيء فهو تلك المجموعة الخاصة، أما التدوين والتأليف الحق فقد ابتدأ بالموطأ، هكذا يقول الثقات، وهكذا يقول أهل الخبرة في الحديث والفقه[1].

وقد سلك الإمام مالك في تصنيفه له منهجا جمع فيه بين :

---

(1) مالك حياته وعصره ـ مرجع سابق ـ ص175 ـ 176.

- رواياته من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وفتاوى الصحابة والتابعين.
- اجتهاداته واستنباطاته.

وقد رتب كل هذا على أبواب الفقه، فهو كتاب حديث وفقه معا، وسيأتي مزيد بيان لقيمة هذا الكتاب حين التحدث عن أسباب انتشار المذهب المالكي.

ب ـ المدونة:

تعتبر المدونة أهم أمهات المذهب المالكي، وأصح كتب الفروع فيه. وهي تشمل آراء الإمام مالك الفقهية وتخريج ابن القاسم على أصول الإمام مالك الفقهية.

وللإمام مالك مؤلفات أخرى متعددة، منها رسالة في القدر، ورسالة في الأقضية عشرة أجزاء، وكتاب في النجوم، وكتاب في التفسير بغريب القرآن[1]. وله إملاءات كثيرة، قال الإمام القرافي: أملي إمام دار الهجرة في مذهبه نحوا من مائة وخمسين مجلداً في الأحكام الشرعية، فلا يكاد يقع فرع إلا ويوجد له فيه فتيا[2].

---

(1) الديباج، 1 ص124 ـ 125.

(2) الذخيرة، أحمد بن ادريس القرافي، تحقيق محمد حجي، 1 ص34، دار الغرب الاسلامي.

7 ـ أصول مذهبه:

تعتبر أصول المذهب المالكي أقوى الأصول صحة، وأكثرها عددا، قال ابن تيمية: من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة، وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد[1].

وقال أبو زهرة: إننا لنقرر غير مجازفين أنه مذهب الحياة والإحياء، قد اختبره العلماء في عصور مختلفة، فاتسع لمشاكلهم، واختبره علماء القانون في عصرنا الحاضر، فكان مسعفا لهم في كل ما يحتاجون إليه من علاج. وإن نوع الأصول التي يزيد بها المذهب المالكي على غيره، ومسلكه في الأصول التي اتفق فيها مع غيره، يجعلانه أكثر مرونة، وأقرب حيوية، وأدنى إلى مصالح الناس[2].

وأصول المذهب المالكي إجمالا هي: القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، وقول الصحابي،

---

(1) مجمع الفتاوي، ابن تيمية، ح20 ص328، دار عالم الكتب الطبعة 1412هـ ـ 1991م.

(2) مالك حياته وعصره، ـ مرجع سابق ـ ص376.

والمصلحة المرسلة[1]، والعرف، وسد الذرائع[2]، والاستصحاب[3]، والاستحسان[4] [5].

(1) أي المطلقة من الاعتبار والالغاء، أي التي لم يرد عن الشارع أمر بجلبها، ولا نهي عنها، كتاب إيصال السالك في أصول الامام مالك، محمد يحي بن عمر، ص28، المطبعة التونسية.

(2) أي سد أبواب الوسائل إلى الفساد، المرجع السابق، ص22.

(3) أي بقاء ما ثبت في الزمن الماضي، ما لم يوجد ما يغيره، الوسيط في أصول الفقه الاسلامي، عمر مولود عبد الحميد، ص181، الجامعة المفتوحة طرابلس.

(4) أن يعدل المجتمع عن أن يحكم المسألة يمثل ما يحكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول، المرجع السابق ص174.

(5) مالك ـ مرجع سابق ـ ص218.

المبحث الأول

أسباب انتشار المذهب المالكي

المطلب الأول: **الآفاق التي انتشر فيها المذهب.**

المطلب الثاني: **أسباب الانتشار.**

المطلب الأول

الآفاق التي انتشر فيها المذهب

تعتبر المدينة المنورة هي نقطة الانطلاق والبداية للمذهب المالكي، وقاعدة التأسيس له، باعتبارها البيئة والمكان الذي نشأ فيه المذهب، وانتظم، وتكّون، ومنها انتشر في مناطق متعددة من بلاد الحجاز.

وكانت مصر أول بلد بعد الحجاز انتشر فيها المذهب المالكي، وكثر فيها تلاميذه.

وقد ظهر المذهب في مصر في حياة الإمام مالك، أدخله فيها تلاميذه النبغاء، أمثال: عثمان بن الحكم الجذامي، وابن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، وثوبان بن إبراهيم المصري، وغيرهم.

وقد اختلف العلماء في أول من أدخل المذهب المالكي

إلى مصر، فيرى ابن شعبان وابن فرحون: أن أول من أدخله هو عثمان بن الحكم الجذامي[1]، ويرى أبو يعلى القزويني: أن أول من أدخله عبد الرحمن بن القاسم[2]، ونقل ابن حجر عن ابن وهب: أن أول من قدم مصر بمسائل مالك: عثمان بن الحكم، وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد[3] شيخ ابن القاسم الأول.

وكان المذهب المالكي الأكثر انتشار قبل قدوم الإمام الشافعي إليها، فلما قدم تعادلا المذهب المالكي مع المذهب الشافعي في نسبة الانتشار، ولا يزالان كذلك بالنسبة للعبادات حتى الزمن الحاضر[4]. واختص المذهب الحنفي فيها بالتطبيق في جانب القضاء، حتى جاءت التعديلات الأخيرة[5] في جانب الوقف، والوصايا، والميراث، والأحوال الشخصية، فبرز

(1) الديباج 1 ص187، ترتيب المدارك وتقريب المالك لمعرفة مذهب مالك، القاضي عياض، تحقيق أحمد بكير، 1، 309، مكتبة الحياة بيروت.
(2) الارشاد، ص29 مخطوط الخزانة العامة بالرباط، نقلا عن كتاب محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، عمر الجيدى، ص19، منشورات عكاظ المملكة المغربية (د ـ ت).
(3) المرجع السابق، نفس المكان.
(4) تاريخ المذاهب الإسلامية ـ أبو زهرة ـ ص422 دار الفكر العربي.
(5) سيأتي بيان زمنها.